بعد خمس سنوات من الجفاف أتت الأمطار والسيول وخلفت وراءها ما خلفته..

أرض أبين تلبس حلة خضراء وعودة الحياة للمزارعين ورعاة الأغنام والمواشي

تقرير / الخضر عبدالله

مساحات شاسعة من الأرض مكسوة بالخضرة , منظر بديع جذاب يسر العين والقلب ويسلب الألباب , الفرحة باسطة على الوجوه عامة بعد غياب طويل , معاناة خمس سنوات عجاف كانت حافلة بالجفاف والبؤس الشديد إلى درجة القحط باختصار هذه صورة عامة لحياة المزارعين ورعاة الأنعام الساكنين في المنطقة الواقعة بين منطقة الشيخ سالم بزنجبار وشقرة ومناطق مديرية لودر بأبين, بعد أن منّ الله جل وعلا على مناطقهم بالأمطار الغزيرة، " الأمناء " تنقلت بكاميرتها بين أراضي المزارعين ومراعي مواشيهم في الاستطلاع الآتي :

منذ خمس سنوات لم تشهد مناطق أبين الشرقية هطول الأمطار غزيرة , ومنذ ذلك الحين بدأت حياة البؤس الحقيقي لبدو تلك المناطق الذين يعتمدون اعتماداً كلياً في حياتهم على رعي الأغنام والمواشي . فمنذ ذلك الوقت بدأت الأرض بالتصحر وتلاشي اللون الأخضر فيها , حتى اختفى تماماً , واكتست باللون الصحراوي الخالي من الماء والخضرة والوجه الحسن , فالبؤس هو الشيء الوحيد الذي كان حاضراً وبقوة .. فالأغنام اكتوت بنار الجوع , ولم يجد الرعاة من سبيل لإبقائها على قيد الحياة إلا بتغذيتها البر " القمح " والبوشة " والأعلاف , حتى اضطروا إلى شراء العشرات من أكياس القمح والبوشة والمئات من الأعلاف وبشكل متواصل لإطعامها , حتى في ذروة ارتفاع أسعاره التي وصل سعر الكيس الواحد للقمح " 6000" ريال والكيس البوشة " 3500" ريال والحزمة العلف ب" 250" ريال , وذلك رجاء نزول رحمة الله وهطول الأمطار وعودة الأشجار والأعشاب اليابسة .. ولكن طال انتظارهم وزادت معاناتهم مما اضطرهم إلى التخلص من أجزاء كبيرة من حلالهم بالبيع والإبقاء على أعداد قليلة من رؤوس الأغنام .. ولكن على الرغم من ذلك لم ينقطع أملهم في رحمة الله ، وظلوا مستمرين في الدعاء بنزول الغيث ليل نهار , وفعلاً لم يخيب الله رجاءهم فأنزل عليهم الغيث الذي انتظروه طويلاً وبغزارة شديدة .

مصائب قوم عند قوم فوائد

على الرغم مما خلفته كارثة الأمطار والسيول التي شهدتها محافظة أبين من خراب ودمار وخسائر فادحة في الأرواح والممتلكات العامة والخاصة , إلا أنها كانت برداً وسلاماً على نفوس وقلوب المزارعين ورعاة الأغنام وجاءت بمثابة الإعلان عن الوداعية لسنوات طويلة من المعاناة والعيش الضنك خلال أيام وليال كان فيها المطر غزيراً جداً تصطدم زخاته بالأرض بقوة , إلا أن الأرض القاحلة كانت تضعه وسط أحضنتها وتخبئه في أحشائها من جراء قوة وشدة المطر .. وتهدمت الخيام وانجرفت معدات الرعاة , وبقيت أجسادهم في العراء , إلا أن ابتساماتهم لم تبارح شفاههم والفرحة لم تفارق محياهم .. وهاهم الأطفال العراة يمارسون ألعابهم المرحة , ويعبثون بالمياه المتجمعة حول مطارحهم غير عابئين بشدة وقسوة البرد .

> المواشي اكتوت بنار الجوع قبل هطول الأمطار ولم تجد ما تأكله بسبب الجفاف
> الفرحة لا تفارق قلوب المواطنين بعد هطول الأمطار رغم كل ما خلفته

حياة جديدة

قال تعالى " وجعلنا من الماء كل شيء حي " . فعلاً صدق الحق القيوم ، وجاء المطر , وامتصته الأرض المتصحرة بشوق وحنين المفارق , وتباشير الخير بدأت رويداً رويداً .. وهاهي الأشجار اليابسة تعود للحياة من جديد , وهاهي الأعشاب والحشائش تنبري من الأرض على استحياء , والعيون تغازل الخضرة التي بدأت تضفي رداءها على مساحات شاسعة من الصحراء , لم يغب اللون الأخضر بعد .. في هكذا وضع كانت البهائم تهيم بحرية في رحاب الصحراء الخضراء , فقطعان الأغنام تغوص في المراعي .. والإبل تمارس طقوس العشق مع الحياة , فرقابها تتطاول أغصان الأشجار الطويلة تارة وتنحني تارة أخرى لتنتقي من الأعشاب المتنوعة في حالة انسجام مع الطبيعة الجميلة التي لا تضاهي .

رغوة حليب ووجبة الفطور

الناظر إلى الأغنام وهي في الرعي يراها ممتلآت البطون وقد غطى اللحم عظامها فدرت اللبن، وكم من الزمن مر وقهوة الصباح لم تشاهد طافحة بروبة "رغوة" اللبن والصبوح " وجبة الإفطار " تعود بالذاكرة إلى الخلف لسنوات عندما يجي إناء مليء بالفتة " خبز ولبن " .. وكم هو جميل مشهد الأم وهي تعلم بناتها من " الجيل الجديد " طريقة عمل الحقين والسمن البلدي . باختصار عادت الحياة لهؤلاء الفقراء من جديد بفضل الله تعالى , وبحمد الله تتكاثر الأغنام وتمتلئ " الزرائب" , وتنتعش حياتهم التي استنزفها القمح والأعلاف والفقر و... الخ .

خيام ومناحل النحل

الزائر لتلك المناطق الواقعة على جانبي الطريق بين زنجبار وشقرة والعرقوب ومناطق لودر سيرى ذلك المنظر الإلهي الخلاب ..

وسيتمتع برؤية مطارح البدو المتناثرة في الصحراء وقطعان الإبل والأغنام .. وسيسحر من دون شك بالتناغم الرائع بين الطبيعة والإنسان والحيوان . حيث شهدت المنطقة توافد المئات من البدو من كل مكان والذين جاءوا من مناطق بعيدة بحثاً عن الرعي " الأعشاب " وبذلك انتشروا في تلك المساحات الشاسعة من الأرض وافترشوها مستغلين غناها بالأعشاب الخضراء والمراعي . كما توافد المئات من النحالين لجني العسل من كل مكان .. وجاءوا بنحلهم إلى حيث المجاني المجانية والمراعي والمساحات الخضراء الشاسعة .. فأصحاب النحل قد أعياهم الجفاف وأنهكهم شراء أكياس السكر الذي استخدموه بديلاً عن غذاء النحل .. وهاهو النحل يذهب صباحاً ويمتص رحيق الأشجار المزهرة ويعود مساء إلى خلياته ليفرز بداخلها عسلاً لذيذاً.